

**التوظيف الدلالي لغير العاقل
(الحيوان) في نهج البلاغة**

**The semantic employment for animal in
Nahj-Albalaga-ghah.**

**م. حوراء كاظم جواد الخزاعي
جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية**

**Asst Howrah Kazem Jawad Al- Khuzai
University of Karbala
College of Islamic Sciences**



ملخص البحث

درس هذا البحث الدلالة في نهج البلاغة؛ لما في هذا الكتاب من خصائص وصفات في توليد الدلالة بتمثيل حي واعي، وقد شكل هذا التمثيل بعداً جمالياً؛ لكونه يحول المعنى إلى نسقٍ يستند إلى التأثير الذي تمثله الدلالة. وقد اعتمد هذا البحث في تحقيق مبتغاة على مبحثين: الأول، تمّ فيه النظر إلى الأساليب الدلالية بتقسيمها على قسمين:

الأول، الأساليب البرهانية، وهي التي لا تعالج القضايا الطبيعية للحالات الممكنة البسيطة والمرنة؛ بل تخصص في المجالات المعقدة من حيث بنية أنظمتها المعتمدة على الاستدلال البرهاني.

والثاني، الأساليب الاستدلالية الطبيعية، وهي التي تمتلك فعالية تداولية قائمة على الاقناع لأثبتات دعوى أو إبطالها.

وأما المبحث الثاني، فقد اختصّ بدلالة الحيوان في نهج البلاغة؛ ذلك أنّ الاستشهاد بالحيوان له دلالة تعبيرية قريبة من فهم المتلقي العام بما يتناسب واختلاف البنى الفكرية من أجل خلق تأثير متواصل يؤهله للمعنى المثالي. وقد خُتم البحث بجملة من النتائج التي توصل إليها البحث ثمّ بقائمة ضمت المصادر والمراجع.



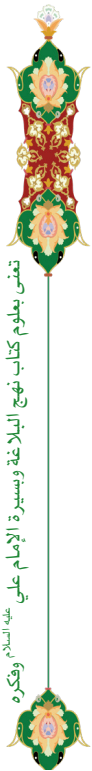
Abstract

The introduction of the concept of connotation at first as a logical model that exist in the Greeks thought in the first break through then it generated interest after the contemporary linguistic developments depending on concept and technique.

So the symbolism witnessed the reasoning model introducing is decided on issues in order to get results.

The research dealt with (in the first part) connotative styles division into two parts: firstly demonstrative styles that don't address natural issues to flexible, simple and possible cases rather, there are complex areas through it's cognitive components that depending on exclusive demonstrative. Secondly the natural evidentiary styles which had effective deliberative and it's intellectual natural is multifaceted for convincing based on achieving conclusions. The results are not merely a declaration or disclosure. The evidentiary self have a role in the speech to prove or avoid an action. While the second part dealt with the significance of animal in Nahj-al-Balaghah.

So using animal in cite has expressive significance would be understandable to the recipient in proportion to the difference of intellectual constructs to create a continuing impact qualifies it as meaning to stay.





المقدمة

والتفسير والفقه والأصول، لقد

كرم الله الإنسان وخصه بخصائص تفرد بها عن سائر الكائنات ومنها خاصية اللغة التي تشكل وسيلة من وسائل التفاعل بين بني البشر، فهي أساس الحضارة الإنسانية ولولاها لما استطاع الإنسان الحفاظ على الحضارة والتراث وتمازج الثقافات المتنوعة، فهي التي تحفظ للأجيال القادمة عصائر الأفكار وحضارات الأمم، وقد شغلت اللغة تفكير العلماء وحظيت باهتمامهم فدرسوها ووضعوا لها أصولاً وقواعد مقننة شأنها شأن الدراسات الإنسانية والاجتماعية الأخرى، فأصبحت تدرس من جوانب متعددة دلالية وأسلوبية ونحوية وصرفية وصوتية^(٢)؛ ولذا فإن القرآن على درجة عالية من البلاغة؛ لأنه يُخاطب أذهاناً تسمع وعقولاً تعقل وهذا ما جاء في قوله تعالى ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما أهدى، والثناء على ما قدّم، فعلم الإنسان ما لم يعلم، وميّزه على سائر خلقه، والصلاة والسلام على نبينا المبعوث أفضل من تأخر برسالته ومعجزته القرآن الكريم الذي ضم أروع الأساليب البيانية وأجلّ الخصائص البلاغية التي سيطرت على الملكات الأدبية واجتذبتها حتى ورد في قوله تعالى ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١).

فقد أثر هذا الكتاب المقدس في اللغة العربية وترقيتها ونشرها في بقاع مختلفة من الأرض وحافظ على ديمومتها، فبفضل القرآن الكريم توصل الإنسان إلى علوم شتى في اللغة كالنحو والصرف

أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٣﴾

وفي آياته تحدٍ للإنس والجن في أكثر من موضع بالإتيان بمثله ولو اجتمعوا، فهنا وقفة قد لا تطول بأن عظمة هذا الكتاب متجلية أولاً وآخرًا بما يحمله من بلاغة وفصاحة وقوة حجة ونحن بصدد دراستنا لكتاب نهج البلاغة هذا العنوان المرهف نجد أن ما يحمله من إعجاز بلاغي جعله الكتاب الثاني بعد القرآن الكريم إذ يقول (عليه السلام) فِيهِ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ»^(٤) والذكر هو القرآن

الكريم كما ورد في قوله من سورة إبراهيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٥) والإمام علي (عليه السلام) إنما جعل الحمد مفتاحًا للذكر لأن أول كتاب الله سبحانه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦).

وقد ارتأيت دراسة دلالة الحيوان في نهج البلاغة؛ ذلك أن الحيوان شغل حيزًا كبيرًا من هذا الكتاب فأذهلني وصفه لدقائقه واتخاذهِ (عليه السلام) منه مثلًا يُضرب في أكثر من موضع تعزيزًا لحجته على العباد أما الجانب الدلالي لما له من علاقة كبيرة بمجال تخصصي في اللغة العربية.

وقسمتُ بحثي هذا على مبحثين يسبقهما التمهيد الذي تحدثتُ فيه قليلًا عن نشأة الدلالة وأبرز من كتب فيها، وجاء المبحث الأول عن علاقة أمير المؤمنين بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) «يا علي... ولا عرفك إلا الله وأنا».

أما المبحث الثاني فكان الأساليب البلاغية ودلالاتها الحيوانية وأخيرًا الخلاصة والخاتمة.

التمهيد

يزخرُ الموروث الديني بكنوز نفيسة لا بد من استلهاها وتسليط



فمفهوم الدلالة بدايةً كنموذج منطقي وجد في التفكير اليوناني الذي يمثل انطلاقته الأولى، إذ أثار الاهتمام بعد التطورات الألسنية المعاصرة معتمداً على المفاهيمية والتقنية، ثم شهدت المدارس الرمزية اقتحام نموذج الاستدلال الذي به يتم البت في القضايا بغية الوصول إلى النتائج المستخلصة.

ومصطلح الاستدلال عند أهل اللغة هو واحد من التصورات الإجرائية للمنطق، وهو لا يعني الاستنباط بطبيعة الحال وإنما هو «نسق من العمليات الذهنية التي تمكن فاعلاً متكلماً يوجد في سياق ما من اقتراح بمثيلاته لمستمع ما بواسطة الخطاب»^(٨).

إنَّ هذا العلم حسب ظن أغلب الباحثين لم يكن للعرب معرفة به فقد نمت أصوله وترعرعت في ضل الدراسات اللسانية الحديثة،

الضوء عليها فهي تمثل انعكاساً ورؤية تفصيلية لجوانب الحياة في مختلف العصور؛ لاستخلاص ما يمكن أن يخدم قضايا الأدب والنقد، فهي تلزم الإنسان الرسالي في ترتيب حياته الفردية، والاجتماعية، والأخلاقية والتاريخية، فكتاب نهج البلاغة يمثل كلام أفصح الخلق بعد الرسول محمد (ﷺ) لأنه أحتوى على حقائق البلاغة ودقائق الفصاحة ما لا يبلغ قعره الفكر، وهذا الشيخ محمد عبده المتوفى ١٣٢٣هـ يقول: «تأملتُ جملاً من عباراته من مواضع مختلفات ومواضيع متفرقات فكان يخيّل لي في كل مقام أن حروباً شبت وغارات شنت وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة، وأنا أجد في جملة ما اختاره الشريف الرضي من كلام مولانا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) السمو بالدلالة في اختيار المعنى اللائق»^(٧).



فقد يكون لهذا العلم اليد الطولى في الكشف عن أسسه وأصوله حتى غداً علماً قائماً بذاته بعد أن كان يسيراً تحت ظل الدراسات اللغوية الأخرى.

وبما أن معرفة المعنى كان المهم الأكبر الذي شغل الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية والدلالية واتخاذ الاستقراء والاستنباط قاعدة يسير عليها؛ فقد اكتسب هذا العلم الإجلال والاهتمام من قبل الدارسين حتى وصل المطاف بالعلماء القول: «إنَّ كل ما يصلح به المعنى

فهو جيد وكل ما فسد به المعنى فمردود»^(٩) فعلم الدلالة هو قديمٌ وحديث في آنٍ واحد، فقديم؛ لأن معنى الألفاظ والتراكيب قد شغل أسلافنا من ناحية الوضوح والغموض والصحة وعدم الاحتمال والفساد^(١٠) أما كونه مستحدثاً فالفضل يرجع إلى علم اللسانيات،

الذي وضع نظرياته وطور أصوله وأوضح معالمه، فغداً علماً قائماً بذاته بعد أن كان ضمن علوم الفلسفة والمنطق وعلم النفس، فالكلمة حسب رأي المحدثين لها دلالة لا يتضح معناها حتى توضع في تركيب، فتركيب الجمل أهم وحدة من وحدات تركيب المعنى؛ لأنها تخفي بعض معاني الألفاظ ولا تكون ظاهرة، أضف أن فهم المعنى مرتبط باستعماله من قبل المتلقي؛ ذلك أن المعنى المعجمي ليس أساس كل شيء في إدراك معنى الكلام.

المبحث الأول

علاقة الإمام علي (عليه السلام) بشخص النبي

(عليه السلام)

«يا علي وما عرفك إلا الله وأنا»

ونحن بصدد دراستنا لهذا النتاج الضخم ليس بحجمه وإنما بمعناه كان لزاماً علينا كباحثين من طرح فكرة العلاقة التي تربط شخصية

كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ» (١٣)

فهذا عليّ (عليه السلام) مع الرسول (صلى الله عليه وآله) في معاركه ضد الكفر والطاغوت في بدرٍ وأحد والخندق وخيبر وحُنين وتبوك، فهو صاحب راية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) إذ بقيت مرفرفة رغم ما واجهوه من تحاذل البعض وفرارهم، إلا أن عليًّا هو الدرع الواقي لرسول الله وللمسلمين، فحمل الوسام الأكبر من قبل الرسول إذ برز الإسلام كله إلى الشرك كله.

ولم يحصر الإمام علي (عليه السلام) نفسه بالدعوة فقال (عليه السلام): «دعاني رسول الله فقال: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت ذرعًا وعلمتُ أني متى أبادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره».

فدعاهم إلى طعامٍ فاستجابوا له ثم عرض عليهم هذا الدين فاستجاب بعضهم؛ ذلك أنه هاشمي الأصل ومن ولد هاشميين، فهذا التكوين

الإمام علي (عليه السلام) الفذة بشخص النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله)، وهي علاقة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وأفضل شاهد على هذه العلاقة هو دستور الأرض القرآن الكريم في آية المباهلة حيث جاء في قوله تعالى ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ (١١) فالنفس واحدة، والكيان واحد، ومن ثم الأخلاق واحدة، والأهداف واحدة أيضًا، ولا غرابة في ذلك؛ لأنه نشأ في حجر رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) منذ نعومة أظفاره وتغذى من علمه وعمله.

ولم يزل علي (عليه السلام) مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بعث الله محمدًا (صلى الله عليه وآله) نبيًا فاتبعه علي (عليه السلام) وآمن به وصدقته وكان في السنة الثالثة عشر من عمره ولم يبلغ الحلم بعد، فهو أول من آمن وأسلم برسول الله (صلى الله عليه وآله) من الذكور (١٢) ولازم (عليه السلام) رسول الله حتى الممات، حتى قال يومًا: «وَلَقَدْ

الخالقي والخالقي يجعل منه شخصاً مرغوباً وله تأثير في النفوس.

وهناك صفات كثيرة تحلى بها أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ لأنه مرتبط بالفيض الإلهي وهي جنة لا يعلمها إلا الله وقد نقف عاجزين عن الوصول إلى كنه أسرارها ولنا أن نذكر ما جال منها:

١. العلم: ليس هناك توقف في النبوع، فتحار العقول في التفتيش، إلا أنها تخضع صاغرة أمامه. إذ تبين لا بد للرسول (صلى الله عليه وآله) من خليفة يجمع شمل الأمة ويرعاها، ويحفظ للدين امتداده، ولا يمكن أن يقوم إنسان مقام الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا إذا كان يتحلى بصفات خارقة تؤهله لهذا المنصب الخطير، ولا بد أن يكون علمه شمولياً للمعارف والأحكام والأديان - علماً حضورياً - ولا غرابة أن يكون علي (عليه السلام) هو ذلك الشخص، فأصف بن برخيا كان عنده حرف واحد وقد

أحضر به عرش بلقيس بأسرع من طرفة عين فكيف بعلي (عليه السلام)؟ الذي قال: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي» فعلم علي كعلم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) بوساطته وعلم الرسول من وحي الله جبرائيل (عليه السلام) إذ روى الترمذي في صحيحه أن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) قال: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا»

فكان الصحابة إذا استشكل عليهم أمرٌ يستشيروه كما ورد في قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١٤).

٢. الشجاعة: أما شجاعته فهي أوسع من أن يُعبر عنها بالفاظ، ويكفي لنا ذكرُ حادثة ميته في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) عندما أدرك بسعة الخطر المحيط به، إذ جمع من كل قبيلة رجلاً في خطة لقتله ولكن العناية الإلهية كانت محيطة بشخص الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) فهبط جبرائيل وأخبره



التوظيف الدلالي لغير العاقل (الحيوان) في نهج البلاغة (عليه السلام)

أن لا يبيت في فراشه وأذن له بالهجرة، وعندما جاء الليل أتشح علي (عليه السلام) ببردة رسول الله (ﷺ) ونفسه مطمئنة بالإيمان وعندما هجموا على منزل النبي الأكرم سل سيفه فكان يمثل الأيمان كله ومقابله الكفر كله، فمنذ ذلك الوقت تجلت أسمى صور التضحية والشجاعة التي باهى الله بها ملائكته فنزلت الآية الكريمة بحقه في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١٥).

٤. المحافظة على الشريعة الإسلامية: ففي كل الأحداث من أول الدعوة وبزوغ نور الإسلام إلى ما بعد وفاة رسول الله (ﷺ)، والظروف التي شهدتها حكومته كان (عليه السلام) ناصحاً وموجهاً ومحافظاً ومشاركاً هموم أمته، حتى أنه عندما جاءته الخلافة بعد مقتل عثمان كان يقول: «وَاللَّهِ مَا تَقَدَّمْتُ عَلَيْهَا [الْخِلَافَةَ] إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يَنْزُوَ عَلَى الْأَمْرِ تَيْسٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، فَيَلْعَبَ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١٧).

المبحث الثاني

دلالة الحيوان في الأساليب البلاغية

وتختلف دلالة الحيوان في كتاب نهج البلاغة حسب الأساليب البلاغية وأولى هذه الأساليب التي

٣. الأدب: حدث ولا حرج، فهذا النهج الخالد إنما خلّد لأنه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذه الكثرة في الشروح لم تأت عليه إلا لأنه إمام المتكلمين، يقول عنه ابن أبي الحديد: «وأما الفصاحة فهو (عليه السلام) إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الخطابة

سندكرها:

(نهج البلاغة) قوله (عليه السلام): «لَتَعْطِفَنَّ

الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ

الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا»^(٢١) فالشَّهَاس:

امتناعها، والضَّرُوس: الناقة السيئة

الخُلُق تعضض حالها^(٢٢) فجعل

(عليه السلام) من الدنيا كائنٌ حي له

إحساس وشعور وهي صورة

تجسدية كما هي الفرس. أما دلالة

تشبيه الدنيا بالضروس؛ ذلك أن

الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين

كما تعطف الناقة على وليدها وإن

أبت على الحالب، وخصت الناقة

من بين الحيوانات؛ لأنها عُرِفَتْ

بحنينها.

ومن كلماته (عليه السلام) الرائعات التي

بَتَّ فيها المحسوسات في المجردات،

قوله وهو يصف الإسلام «رَفِيعُ

الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ، مُتَنَافِسُ

السُّبْقَةِ»^(٢٣) فَجَسَّدَ الإسلام وهو

المعنوي المجرد، بأنه جامع الحَلَبَةِ

(وهي الخيل التي تُجَمَّع من كل

١. أسلوب التجسيد: هو حركة

إحياء للمواد الحسية الجامدة،

وإكسابها صفة إنسانية الإنسان

وأفعاله^(١٨)، وهو خلع صفات

محسوسة على المعنويات.

وقد ورد هذا الأسلوب كثيرًا

في أقوال الإمام علي (عليه السلام) ومنها

قوله: «لَبَسَ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ

الْعَنْكَبُوتِ»^(١٩) فقد استعار لفظة

(اللَّبَس) وهي للمادي المحسوس

ووظفها في صورة (الشبهات) وهي

المعنوي، وجسدها للسامع في صورة

تشبيهه تدل على الضعف والوهن

وهو (بيت العنكبوت) فالصورة

دلالة واقعية تصور المتصدي للحكم

وليس لديه أهلية كما ورد في قوله

تعالى من ضعف نسج العنكبوت

﴿إِنَّ أَوْهَنَ الْيُوتِ لَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢٠) وأيضًا من

الصور المجسدة التي أزدان بها كتاب



التوظيف الدلالي لغير العاقل (الحيوان) في نهج البلاغة (عليه السلام)

صوب للنصرة) فجعل للإسلام روح وعزيمة سبابة، فالدلالة التي أمام قوة الإيمان.

ومن كلامه (عليه السلام) عن مرض الفتنة: «أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي، بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْبُهَا وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا»^(٢٥) فجعل المعنويات في هيئة المحسوسات، عندما جسد الفتنة وجعل لها عيناً، أما دلالة هذا التجسيد وربطه بالكلب هو أنه بعد انقضاء معركة النهروان وتغلبه (عليه السلام) على الخوارج فهو يصف اشتداد الأمر (بداء الكلب) الذي يصيب الكلاب وكل من عضته ينتقل إليه فيموت. فهذه دلالة اشتداد الفتنة فما أصابت قومًا إلا أهلكتهم كداء الكلاب.

وله في موضع آخر يقول فيه «وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبْعِ الْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ»^(٢٤) إذ جعل للدهر صولة وجولة لا تخلو من الإثارة مشبهاً إياه ب (السبع العقور) وقد تبدو هذه اللفظة غريبة بعض الشيء على أسماعنا؛ لأنَّ ما عُرِفَ في المثل عن (الكلب العقور) فربما لأنَّ السبع أقوى وأشجع وأكثر جرأة في خطواته، أما في الكفة الأخرى من المقولة فتجسيد جديد يعزز إثارة السامع في قوله (وهدر فنيق الباطل بعد كظوم) إذ جسد الباطل وهو المعنوي بالفحل من الإبل وهو المادي المحسوس، فرغم

فأسلوب التجسيد الذي وفرته لنا الصور الاستعارية والكنائية والتشبيهية، يُعدُّ من أبرز صور البيان العربي؛ لأنه جمع بين المتخالفين

ووفق بين الأضداد وكشف عن إيحائية جديدة في التعبير.

٢. الازدواج: وهو من أهم عناصر الإيقاع في النص الأدبي، إذ يمثل فقرات نصية متزنة وهو «ينبغي أن تكون الفواصل على زنة واحدة، وإن لم يمكن أن تكون على حرف واحد فيقع التعادل والتوازن»^(٢٦).

فكأن الازدواج عنده مرتبط بالسجع أو التوازن بين العبارتين المسجوعتين، وعرفه بن منقذ على أنه «تزاوج بين الكلمات والجمل بكلام عذب، وألفاظ عذبة حلوة»^(٢٧) والازدواج فن ذو قيمة جمالية في النثر العربي، يسعى إليه الكاتب في رسائله ويحتاجه كل خطيب، فهو يحاجج أو يشرح أو يدافع عن فكرة ويوضح معناها، فيقرب البعيد ويكشف الخفي ويقدم الدليل وهذا ما لمسناه في كتاب نهج البلاغة، إذ توشّحت أمثاله به، وازدانت فناً

يدّخر نغماً جميلاً وعذباً، يستهوي النفوس فتأنس به، وتطرب إلى إيقاعاته المتزنة مستدلاً بالحيوان في قوله، واصفاً نفسه الشريفة وموقعه في الأمة، ومصوراً حاله في قوله «يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقِي إِلَيَّ الطَّيْرُ»^(٢٨) فهنا وظف الطير فهناك إيقاعٌ موسيقي بين مقطعي الكلام، إذ يولد تماثلاً في الوزن والمقاطع الصوتية، إلا الاختلاف في الحرف الأخير من الفاصلتين (السيـل- الطير) فهو يتقل من الأسهل إلى الأصعب أي من اللام إلى الراء مع أن الاثنين من أصوات اللين التي تمتاز بوصفها أكثر وضوحاً في السمع من الأصوات الصحيحة، فطريقة تعبيره هذه تؤكد الإيحائية التي وفرتها صفات الأصوات، لأن (الجانب الصوتي قد يؤثر على المعنى)^(٢٩) وقال (عليه السلام) وقد جاءه نعي مالك الأشتر (رحمته): «مَالِكٌ وَمَا مَالِكُ!





التوظيف الدلالي لغير العاقل (الحيوان) في نهج البلاغة

﴿البقرة﴾

لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا، لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ، وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ^(٣٠). مَسْهًا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالْإِعْتِدَارُ مِنْهَا^(٣٣) فالعبارتان الأخيرتان

ومن جديد يأتي الاستدلال بالطير في وصفه لمالك النخعي بكونه (فندًا)، أي الجبل العظيم كناية عن رفعة وامتناع همته كما هو الطائر ومع ذلك لا يرتقي إليه.

وهذا النوع من الإيقات المتساوية يكاد يكون واحدًا في الصياغة؛ ليحقق نغمًا موسيقيًا يسترعي انتباه المتلقي.

وفي معرض (دلالة الفتنة) يقول (عليه السلام): «كَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حَدَائِهِمَا الْعَنِيفُ»^(٣١) فالسير

الوجيف: هو ضربٌ من سير الخيل والإبل السريع، أما الحداء:

هو زجر الإبل وسوقها^(٣٢) وله في وصف الدنيا وما آلت إليه المناصب

وطرًا، كما في قوله: «فَصَيَّرَهَا فِي حَوْرَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ

مزدوجتان صوتيًا ليمنحان الدلالة عمقًا ورؤية مستقبلية؛ بأن الدنيا غليظة كالناقعة الصعبة المراس، وراكبها أما أن يشنقها فيخرم أنفها، وأما أن يستسلم لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته. وهي دلالة معبرة عن حال الإنسان في هذه الدنيا أما أن يسيطر على شهواته وغرائزه ويتمكن من غوايتها، أو يسلس معها ويلهو فترمي به في شر جهنم؛ لأنه ضعف فسحقته وهي دلالة معبرة، فالازدواج أحدث نغمًا موسيقيًا حين وازن بين الفقرتين فأحدث إيقاعًا موسيقيًا متشابهًا في الصوت مختلفًا في المعنى.

٣. التكرار: والتكرار في التعبير الأدبي «هو تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث يشكل نغمًا موسيقيًا يتقصده الناظم في شعره

والناثر في نثره»^(٣٤) وهو أسلوب من أساليب القول عند العرب استعملوه في شعرهم ونثرهم وليس أدل من القرآن على وجوده؛ لأن القرآن نزل بلغتهم وخاطبهم بما يفهمون، فالتكرار يقوي ويزيد من وحدة العمل الفني، فهناك أواصر مشتركة بين القيم الصوتية لجرس الألفاظ والقيم الفكرية والشعورية إذن لا بدّ من الإشارة إلى أنّ التكرار لا يوفر للنص قيمة معنوية فقط، بل يوفر أيضاً قيمة موسيقية يحتاجها منسئ النص لجذب مسامع المتلقي والتأثير فيه؛ «لأنّ تكرار اللفظ يفيد في قرع الأسماع وإثارة الأذهان»^(٣٥) فضلاً عن القيمة الدلالية للمفردة المكررة. وهذا القانون الذي وفّر نغماً موسيقياً للنص نجده متحققاً في أمثال نهج البلاغة وخطبها فقد يكون التكرار في حرف كما في قوله (عليه السلام): «الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةٌ

الْبَيْسَةِ»^(٣٦) فتكرار اللام ثلاث مرات في موضع واحد ودون فاصل له دلالة إيقاعية؛ لجذب انتباه المتلقي إلى طول العشرة، مع أن العقرّب لا تحلو لبسته أي (عشرته)، فالحذر لأنّ المرأة في إيذاءها كالعقرّب.

وقد وجدتُ بعد التفتيش في كتاب نهج البلاغة أنّ أغلب التكرار هو في مقاطع الأمثال؛ ليحمل في كل موضع دلالة معينة، كما في قوله (عليه السلام): «كَجَوْجُؤٍ سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ جَائِمَةٍ»^(٣٧) فقد تكرر المقطع (جؤ) مرتين وفي موضع واحد ومن دون فاصل وهو من المقاطع المغلقة، فأعطى للنص صفة مميزة ومتولدة من تكرار هذه الأصوات وبانتظام في وحدة زمنية قصيرة فهي بمثابة (لازمة موسيقية في النص، تترك أثراً نفسياً لدى المتلقي، وتشدُّ سمعه وانتباهه إليها)^(٣٨) وله (عليه السلام) مقطعٌ يصف فيه الخائفين المتخاذلين بأنهم



التوظيف الدلالي لغير العاقل (الحيوان) في نهج البلاغة (عليه السلام)

تغيرت طباعه الإنسانية، ولم يبق له من الإنسانية إلا الشكل فقط «الصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَالْقَلْبُ قَلْبٌ حَيَوَانٍ»^(٤١) فقد كرر لفظة القلب؛ لدلالة معنوية تؤكد المعنى وتزيده إيضاحاً، إذ أن تكرار الكلمة ومن دون فاصلة: هو طرقٌ على مسمع أثاره هذا الصوت في وحدة زمنية قصيرة، فزاد من تعميق دلالة التجرد الإنساني.

وله (عليه السلام) خطبة في الدعوة إلى نصره الإخوان يقول فيها: «فَجَرَجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِّ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النَّضْوِ الْأَذْبَرِ»^(٤٢) فالجرجرة صوت يردده البعير المصاب في حنجرته، أما النضو الأدبر فهو الهزيل من الإبل المجروح، فقد يأتي التكرار والإعادة لإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر^(٤٣).

فهذا التكرار في الألفاظ جاء ليحدث تأثيراً في النفوس ودلالته

ينفرون من الحرب «نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَغُوعَةِ الْأَسَدِ»^(٣٩) فلفظة (وعوعة) متكونة من تكرار المقطع الصوتي (وع) الذي يتكون من حرف المد الطويل (الواو)، أما العين فهي من الحروف الصحيحة الصامتة، إذ يقول سيويو (ت ١٨٠هـ): (فأما العين فبين الرخوة والشديدة)^(٤٠) هي دلالة التذبذب والتأرجح وعدم الثبات في الكلام.

أما تكرار الألفاظ فهو ليس أقل من تكرار المقاطع، فقد كثُر في كتاب نهج البلاغة؛ وذلك لقصدٍ معنوي يقتضيه الموقف كتأكيد لدلالة أو إيضاح لإبهام الذي لا يتم إدراكه إلا عبر التكرار اللفظي، ويُعدُّ هذا التكرار حاجة وضرورة ملحة للنص؛ لإثارة انتباه المتلقي، وتوفير المتعة لنفسه وهو تكثيف للصوت وتركيزٌ عليه.

كما ورد في قوله (عليه السلام) واصفاً من

هو أن تباطؤ الإنسان في الخير وعدم
اكتراثه بأمر المسلمين يسوقه إلى
جهنم من حيث لا يحتسب.

متضمنًا كلامه (عليه السلام) ثلاث صور
تشبيهية إذ شبه حالهم حينما أستفزه
فتقاعسوا، مستدركين بكلام غامض،
ومعتذرين بأعذار واهية تكشف
عن جنبهم وضعفهم بحال الجمل
المصاب بقرحة في زوره وهو يردد
صوتًا قبيحًا، وبحال البعير المهزول
المعقور، وهو ينهض متثاقلاً، ثم
حال القلة التي خرجت للحرب في
ضعف وثثاقل وتردد بحال جماعة
من الناس يساقون إلى الموت سوقًا،
وهم يرونه أمامهم رؤية العين^(٤٤).

ولابدَّ من الإشارة إلى أن كتاب
نهج البلاغة قد وصف الحيوانات
وصفًا دقيقًا وبأسلوب لم يعرف إلا
في العصر العباسي^(٤٥).

ويصف (عليه السلام) بيعته في قوله
«فدكوا عليَّ تذاك الإبل الهيم

يوم ورودها، قد أرسلها راعيها،
وَحُلِعتْ مَثنَينِها»^(٤٦) فقد شبه حالهم
وهم يترაკضون متلهفين على بيعته

بحال إبل عطشى مطلقة العنان،
ليس ثمة ما يكدر عليها شربها،
فكأنما لشدة زحامها يدك بعضها
بعضًا، وإنما خُصَّ بالذكر يوم
ورودها؛ لأن الإبل ربما بُعدت عن
الماء فصلصت أحشائها من شدة
الحر، وبمجرد ما شارفت مشاربها
غادر الزحام المكان، وورد هذا
المعنى في القرآن الكريم في قوله
تعالى ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ
* فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾^(٤٧) فدلالة

الإبل عن باقي الحيوانات الأخرى؛
لأنها عُرِفَتْ بحنينها لأوطانها؛ لكثرة
ترحالها وهيامها بورود الماء، فكأنَّ
أكبادها حرة لا تنطفئ وقوله أيضًا
«إِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ
لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ
لِلذَّنْبِ»^(٤٨).



وهذه المقولة في حقيقة أمرها وعظٌّ وإرشاد ومما عزز دلالتها أسلوب التكرار اللفظي تشجيعاً للوحدة، وبند الفرقة.

والغاية المنشودة من هذه الاستدلالات هي قيمة المعالجة والقصد المؤثر؛ لذا نلحظ الأفكار الناضجة جلية التي استقاها المبدع من عموميات الحياة المعاشة.

الخاتمة

فلله الحمدُ على حسن توفيقه وإتمامه، وبركة عونه وإحسانه والصلاة والسلام على خير خلقه محمد (ﷺ) لا شك أنَّ الخطاب يتشكل من الأرضية الثقافية لقائله ومقدار ما يمتلكه من معارف وفنون وآداب، إذا أسلمنا أنَّ

اللغة مكتسب اجتماعي يلتقطه الفرد من العالم المحيط به وهذا ما جسده كتاب نهج البلاغة الذي مثَّل شخصية قائله، الَّذِي يشير إلى حضور معانٍ

أما أهم ما استنتجته هو استعماله لبعض الألفاظ والأدوات التي يكون لها أكثر من معنى؛ لتمامشى مع تغير المجتمعات على مر العصور، وبصدد دراستنا لدلالة الحيوان وجدت كثرة الشواهد التي ذكرت مختلف الحيوانات والطيور؛ لإيجاد موازنة بين المخلوقات التي تفتقر إلى الكمال العقلي ومخلوقات فضلها الله على سائر الخلق من باب العبرة والوعظ والإرشاد.

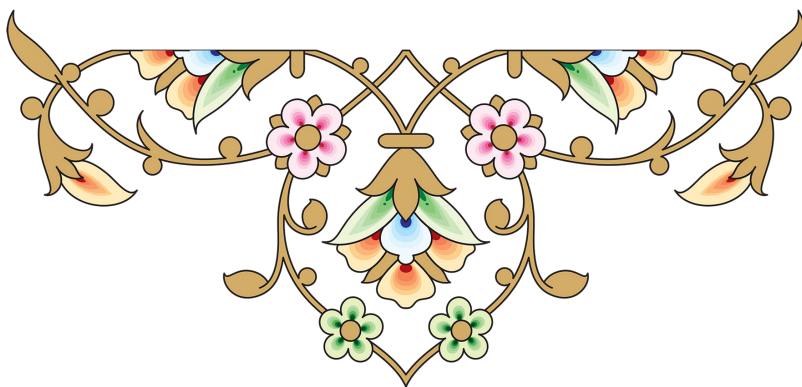


الهوامش

١. سورة الإسراء: آية ٨٨.
٢. ينظر دلالة الجملة الإسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ص ١٩.
٣. سورة الجن: آية ٧٣.
٤. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ١، ص ٣٦٦.
٥. سورة إبراهيم: آية ٧.
٦. سورة الفاتحة: آية ١.
٧. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ج ٢، ص ١٣٠.
٨. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص ١٣ - ١٤.
٩. المقتضب، للمبرد، ج ٤، ص ٣١١.
١٠. الكتاب، لسيبويه، ج ١، ص ٥.
١١. سورة آل عمران، آية: ٦١.
١٢. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي ت ١٠٧٠هـ، تحقيق السيد حسين الموسوي وآخرون، ج ٥، ص ٤٩.
١٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل علوم الشريعة، محمد بن الحسن العاملي، ج ١٦، ص ١٧١.
١٤. سورة آل عمران، آية ٣١.
١٥. سورة الشورى، آية: ٢٣.
١٦. وسائل الشيعة إلى تحصيل علوم الشريعة، محمد بن الحسن العاملي، ج ١٥، ص ٣٠٨.
١٧. المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١٧٠.
١٨. الصورة الفنية في شعر أبي تمام، عبد القادر الربيعي، ص ١٦٩.
١٩. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ١، ص ٥١.
٢٠. سورة العنكبوت، آية: ٤١.
٢١. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٤، ص ٧٠٨.
٢٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج ١، ص ٥٣٨.
٢٣. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص ٢٥٧.
٢٤. المصدر نفسه، ص ٢٦٣.
٢٥. المصدر نفسه، ص ٢٣٦.
٢٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، ج ١، ص ٩٨.
٢٧. المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٩.
٢٨. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص ١٧١.
٢٩. علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص ١٣.
٣٠. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص ٧٦٣.
٣١. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٢٢.
٣٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج ١، ص ١٢٩.
٣٣. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ١، ص ٨٨.
٣٤. جرس الألفاظ ودلالته في البحث البلاغي والتقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، ص ٢٣٩.
٣٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، ج ٣، ص ١٥.



- التوظيف الدلالي لغير العاقل (الحيوان) في نهج البلاغة ٣٦. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٤، ص ٦٧٥.
٤٣. بلاغة التكرار تشرق في القرآن الكريم، عبود جودي الحلي، مجلة الحفيظ الله، العدد ١، ص ٥.
٤٤. الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، عباس علي حسين الفحام، ص ١٦٥.
٤٥. على عتبات الأمير، للشيخ العلامة نزار آل إسماعيل، مجلة رسالة القلم، ط ٢، ص ٢٢.
٤٦. شرح نهج البلاغة، عز الدين ابن أبي حديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، مجلد ٧، ص ٥.
٤٧. سورة الواقعة، الآيات: ٥٤ - ٥٥.
٤٨. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، ص ٢٩٩.
٣٧. المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠١.
٣٨. المثل في نهج البلاغة دراسة تحليلية فنية، عبد الهادي عبد الرحمن، ص ٢٢٩.
٣٩. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، ص ٢٣٣.
٤٠. الكتاب، سيبويه، ص ٢١٩.
٤١. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، ص ٢٢٦.
٤٢. المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٤.



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١. الأثر القرآني في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون)، عباس علي حسين الفحام، دار مكتبة الروضة الحيدرية، ٢٠١٢ م.
٢. جرس الألفاظ، ودلالته في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، مطبعة الحرية- بغداد، ١٩٨٠ م.
٣. دلالة الجملة الإسمية في القرآن الكريم، شكر محمود عبد الله، ط ١، دار دجلة، ٢٠٠٩ م.
٤. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقى المجلسي (ت ١٠٧٠ هـ)، تحقيق السيد حسين الموسوي، الناشر بنياد فرهنك، مطبعة مهر قم، د. ت.
٥. شرح نهج البلاغة، عز الدين ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، د. ت.
٦. الصورة الفنية في شعر أبي تمام، عبد القادر الربيعي، ط ١، جامعة اليرموك الأردن، ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠ م.
٧. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط ١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢ م.
٨. الكتاب، سيبويه، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣١٦ هـ.
٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد

- الحמיד، القاهرة، ١٣٥٨ هـ- ١٩٣٩ م.
١٠. المثل في نهج البلاغة (دراسة تحليلية فنية)، عبد الهادي عبد الرحمن، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠١٣.
١١. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣ هـ.
١٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.
١٣. المقتضب، محمد بن يزد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق للمبرد، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٨٦- ١٣٨٨ هـ.
١٤. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة بيروت، ١٩٩٨ م.
١٥. وسائل الشيعة إلى تحصيل علوم الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، ط ٢، مطبعة مهر، قم، ١٤١٤ هـ.

الصحف والمجلات

١. بلاغة التكرار تشرق في القرآن الكريم، عبود جودي الحلي، مجلة الحفيظ الله، عدد ١، دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية، ١٤٣٣ هـ.
٢. على عتبات الأمير، للشيخ العلامة نزار آل إسماعيل، مجلة رسالة القلم، ط ١، دار إصدارات، قم المقدسة، ١٤٣٢ هـ.

